المحاضرة رقم07:إعـداد الخريطة الأثرية.

1-مفهوم الخريطة.

2-نبذة تاريخية عن نشأة الخريطة الأثرية:

3-أنواع الخرائط.

4-مكونات الخريطة الأثرية.

5-الخريطة الأثرية ونظام المعلومات الجغرافية.

6-دور الخريطة الأثرية في تسيير الممتلكات الثقافية.

تمهيد:

مما لاشـك أن نجاح عملية اسـتغلال المكتشـفات الأثرية على اختلاف طابعها لابد أن يسـبقها تسيير جيد ومتكامل،يمكِّن من حمايتها وحفظها من عاديات الزمن،فإذا ما تركت من دون هذا الشرط اللاَّزم فمن المؤكد أننا لن نجد تراثاً مادياً نسـتغله،ولذلك أمكن القول أنهما أي التسـيير والاسـتغلال عمليتان متلازمتان لا تمكن الفصل بينهما،ومن بين العمليات التي تحقق تسييراً جيداً يمكن من خلاله استغلال الممتلكات الثقافية استحداث خارطة أثرية.

1-مفهوم الخريطة:

أ-لغة:يرجع الاشتقاق اللغوي لكلمة الخريطة إلى الكلمة اللاَّتينيةMappa التي تعني قطعة قماش صغيرة.

ب-اصـــطلاحاً:تعد الخرائط أهم وســـيلة لتمثيل البيانات والمعلومات المســـندة مكانياً أو احصـــائيًا،وهي عبارة عن تمثيل رمزي متفق عليه لســـطح الأرض أو جزء منه وفق مقياس محدد،وقد كانت الخريطة وما تزال الأداة الأساسية في تناول الدَّرس التاريخيّ والجغرافي،ووسيلة مهمَّة للتَّعاطي مع المشـهد الجغرافيّ وأبعاده المتعدِّدة،إذا أُحسـن اسـتغلالُها،وقد ذكر الباحث الفرنسـي(كوزان) أن الخريطة أهم وسـيلة تصـويرية وحتمية لمعرفة عاداتِ وسُـلوكيات مجتمع منطقة جُغرافيَّة مُعيَّنة،بل بالَغَ في معرفة الدَّوْر السلبي أو الإيجابي الذي يُمكن أن يلعبه ذلك المجتمع على مستوى التنمية بقوله:"أَعطوني خَريطةً

بلدٍ ما وأنا أتعهَّد بأنْ أَدلَّكم مقدماً على إنســـان هذا البلد كيف ســـيكون،وأي دور ســـيلعبه في التاريخ"،وهناك من ذهب إلى أن الخرائط تكتب وترسـم،وهي أشـبه بكائن حي من جانب أنها تتطور وتنمو،إذ وجدت خرائط لم تكن تحتوي على معطيات،ثم أضيفت لها وتغير رسمها على الشكل السابق الذي كانت عليه،وهناك من ذكر أنها لغة مختصـرة مثلها مثل باقي اللغات الأخرى،لأنها تتضـمن رموزاً ذات دلالات معينة.

مما سبق ذكره أمكــن القول أن الخريطة بشكل عام عمل تقني بالغ الأهمية يقوم به مختصون في علم الطبوغرافيا،فهم المختصــون في ضــبط حدود المجال ومكوناته الطبيعية،ويقومون بتجســيد ذلك على مقياس مضبوط.

2-نـبذة تاريخية عن نشأة الخريطة الأثرية:

يبـدو أن البوادر الأولى لظهور مثـل هـذا النوع من الخرائط البيـانيـة ظهر بعـد الحرب العـالميـة الأولى،وذلك على إثر إعلان الجهاز العسكري الجوي البريطاني عن مشروع خارطة أثرية دولية تشـمل بلدان أوروبا وشمال إفريقيا،بهدف حمايتها من الضربات الجوية في حالة نشوب الحروب،حقيقة المشروع لم ينحصر هدفه في تفعيل دور الحماية فقط،إنما لدافع آخر يتمثل في تحديد واسترجاع الحدود الجغرافية للإمبراطورية الرومانية في أقصـى اتسـاع لها،مع رسـم الطرق التجارية التي كانت تسـتعملها انطلاقا من المعالم التاريخية والمواقع الأثرية التي خلَّفتها،وهو ما تمَّ الإعلان عنه في المؤتمر الدولي المنعقد في مدينة كمبريدج ســـنة 1928،وقد كانت هذه الخطوة بمثابة الأولى من نوعها في دمج الجغرافيا وعلم الآثار في مشـروع واحد،وتجدر الإشـارة أن مصـلحة الخرائط قائمة في هذه الدولة منذ سـنة 1747م،لذلك كان السبَّاقة في هذا المجال،وعن أهم الدول المشاركة في عمل الخريطة الأثرية الرومـانية إن صـحَّ التعبير إيطـاليا وفرنسا وإسبانيا،أي مجموعة الدول التي كانت تشكل الإمبراطورية الرومانية.

3-أنواع الخرائط:

لم تكن هناك خرائط متعددة المجالات قديماً،فقد وُجدت الخريطة الجغرافية التي رافقت المسـتكشـفين الأوائل والرحالة الجغرافيين،وقد ارتبط مســار تطورها بتطور الإنســان في هذه الحياة،ويشــير عدد من

الباحثين أن الإنســـان القديم عرف الخرائط مع معرفته للكتابة،ولعلَّ أبرزهم في ذلك البابليون الذين رسموا خارطة لمملكتهم على قرص من الطين،أنظر الصورة التالية:

الصورة رقم 01:تبين خريطة بابلية مرسومة على قرص الطين،عن:محمد الهيلوش،**مبادئ الخرائط**،مسلك الدراسات الجغرافية،(دت) ص:06

وعرف المصريون هم أيضاً الخرائط،لكنهم رسموها على أوراق البردي،ورسم الصينيون بعدهم خرائط تحدد معالم ملكية الأرض الزراعية،وأماكن وجود ينابيع المياه،وكانت هذه الخرائط حســـب ما أدلى به الباحثون تعكس دائماً المناخ السائد في تلك الفترة،وكذا الوضع الاجتماعي بطابع بسيط وعملي.

بعد مرور مرحلة زمنية طويلة،تغيرت الخرائط عمَّا كانت عليه،وشـهدت تطوراً وتنوعاً ملحوظاً،بفعل الحرب العالميتين الأولى والثانية،وظهور عدد من التقنيات التي لها علاقة وطيدة بعمل الخرائط مثل نظام تحـديـد الأمـاكن (GPS)،وقـد برزت عـدَّة أنواع من الخرائط،نـذكر من بينهـا الخرائط الجيولوجيـة والسياسية خرائط توزيع السكان...إلخ،وإرتـأينا أن نـصنف الخـرائط عـامة وفق معيارين يتـمثلان في مقياس الرسم ومحتوى الخريطة.

2-1 وفق مقياس الرسم:يمثل مقياس الرسم النسبة بين الأبعاد والمسافات على الخريطة وما يقابلها على ســطح الأرض،وتنقســم الخرائط تبعاً لمقياس الرســم إلى ثلاثة أنواع يتوقف كل نوع منها على الغرض الذي من أجله أنشـأت الخريطة،كما يتوقف على حجم التفاصـيل والمعلومات والمظاهر التي توضحها ويتيح ذلك تصنيف الخرائط على النحو التالي:

-خرائط صغيرة المقياس العامة أوالعالمية.

-خرائط متوسطة المقياس الطبوغرافية.

-الخرائط التفصيلية أو الخرائط كبيرة المقياس.

2-2 من خلال المحتوى:لديـــــنا ما يعرف بالخريطة الموضوعية،وهي الخرائط التي تختص بموضوع واحد لذا أطلق عليها في بعض الأحيان الخرائط الخاصة،وهي متعددة تشمل خرائط الجيولوجيا وخرائط الجيمورفولوجيا،وأغلب فروع الجغرافية مثل خرائط المدن،والخرائط الصناعية،وخرائط استغلال الأرض الريفية والحضرية والخرائط السياسية والخرائط التاريخية وخرائط السكان والخرائط التعليمية والخرائط الصحية وخرائط التوزيعات والخرائط الطبوغرافية والطقس إلى غيرها من المواضيع.

وتندرج تحت هذا النوع الخريطة الأثرية التي تعتبر هي الأخرى خريطة موضـــوعية يتم من خلالها تحديد جميع أماكن المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بالتعاون مع أهل الاختصـــاص من جغرافيين وطوبوغرافيين ...إلخ،ويجب قبل الاعلان عنها القيام بجرد مفصل لكافة الممتلكات الثقافية الموجودة في الولاية.

4-مكونات الخريطة الأثرية:

حسب رأينا تشترك الخريطة الأثرية في مكوناتها مع بقية الخرائط،من حيث أنها أداوت تصف سطح الأرض،إلاَّ أنها تنفرد بخاصية الموضوع،ولكي تؤدي دورها يجب أن تشتمل الخريطة الأثرية على مايلي:

أ-العنـــوان:يعتبر مرآة الخريطة،وهو ما يعكس محتواها،العنوان يجب أن يوضح الغرض الذي من أجله أنجزت الخريطة،كما يجب أن يكون من البروز بدرجة تلفت النظر عند الاطلاع على الخريطة،وذلك من حيث نوع الخط وحجمه بشكل يتلاءم فيه حجم العنوان مع حجم الخريط.

ب-مقياس الرسم:الخريطة أداة ضرورية لتزويد الإنسان بالمعرفة الجغرافية،ولما كان العالم الحقيقي أكبر من أن تستوعبه ورقة الرسم فقد عرفت الخرائط دائما على اختلف أنواعها بأنها صورة مصغرة للواقع إذ يستحيل رسم أي موقع على سطح الأرض الكروي بنفس أبعاده على مساحة متماثلة من الورق،ومن هنا كانت الحاجة إلى تصغير المساحة المرسومة،وذلك بإيجاد نسبة بين ما يرسم على الورقة وبين ما يمثله على سطح الأرض،وهذه النسبة تسمى بمقياس الرسم،وبشكل عام يمكن القول إن مقياس رسم الخريطة يكون كبيرًا إذا كانت النسبة بينه وبين ما يمثله على سطح الأرض صغيرة

مثل مقاييس 25000/1 2500/1،500/1،إلى أن نصل إلى 100/1 وهو أكبر أنواع المقاييس المستخدمة في معظم دول العالم،ويكون المقياس صغيراً كلما كبرت النسبة مثل مقياس4000000/1 2500000/1 100.0000/1،ومعنى أن نقول إن مقياس رسم هذه الخريطة هو 1000/1 مثلاً فذلك يعني أن كل وحدة على الخريطة يقابلها 1000وحدة مماثلة في الطبيعة،أي أن كل1سم على الخريطة يقابله 1000سم في الطبيعة،وترجع أهمية وجود المقياس على الخريطة إلى أنه الأساس الذي يمكن الاعتماد عليه في معرفة أي مسافة أومساحة على الخريطة وبالتالي في الطبيعة.

جـ-مفتاح الخريطة:يعتبر المفتاح من أهم مكونات الخريطة الأثرية،فلكونها من الخرائط الموضوعية التي تقدِّم حيثيات مجال معين،لابد أن تشتمل على مفتاح تبين من خلاله ما يوجد فيها من معطيات أثرية،ومن الأمور التي يجب وجودها في المفتاح مكان وجود المعالم التاريخية والمواقع الأثرية،وحتى المحميات الأثرية،أي كل ماله علاقة بالممتلكات الثقافية،للوصول إلى تجسيد المبدأ الذي أعدَّت من أجله الخريطة الأثرية.

د-السهم:يتم وضع هذا الأخير لتحديد الشمال،حتى يسهل على القائمين على حماية الممتلكات الثقافية معرفة مكان وجود الممتلك الثقافي مقارنة بالاتجاهات الأخرى.

هـ-حدود الخريطة والخطوط المنمَّقة:تستخدم لفصل العناصر المختلفة للخريطة،ويعتبر استخدام هذه العناصر الخاصة بالرسوم البيانية مسألة تصميم في المقام الأول،ومن شأن الإفراط في رسم الكثير من الإطارات والخطوط أن يجعل الخريطة تبدو مزدحمة بلا نظام لهذا،لا ينبغي استخدام حدود إضافية إلاَّ إذا كانت عناصر الخريطة غير مفصّلة جيداً.

و-شبكة الأرضية:وهي شبكة خطوط العرض والطول التي تسهِّل التوجه على الخريطة،ويجب أن توضع هذه الشبكة على الخرائط التي ترسم بمقياس رسم صغير.

5-الخريطة الأثرية ونظام المعلومات الجغرافية:

أمام الثورة الرقمية التي يشـــهدها العالم في الآونة الأخيرة تغيرت كثيرٌ من المفاهيم،فقد أصـــبح بالإمكان معرفة موقع مدينة من المدن وتفاصيل عمرانها،مثلما يوفـــــره موقع GoogleEarth ونظام المعلومات الجغرافية (SIG)Systemed'InformationCiographique الذي يعتبر نظام حاســـوبي يقوم بجمع وإدارة ومعالجة وتحليل العديد من البيانات ذات الطبيعة الجغرافية،وهناك من عرّفه أنه مجموعة من حزم البرامج التي تمتاز بقدرتها على تخزين ومعالجة وعرض بيانات مجالية لجزء من ســـطح الأرض،ويعد هذا النظام من الوسائل الحديثة التي ساهمت بغزارة في تسهيل مهام وأداء المخططين أثناء اتخاذ اقرارات مكانية تتعلق بتطوير أو تحليل مشـــكلة معينة ذات بعد مكاني،لقد عرف بداياته الأولى في ستينات القرن المنصـرم بالولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وكندا لتنفيذ بعض الأعمال والمشـاريع المكانية،وعلى نطاق الجامعات بدأت جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية بعمل عدة برامج لرســـم وتحليل الخرائط آلياً في معمل الحاســـب الآلي والرســـم،وفي جامعة واشـــنطن تم تطوير برامج متخصـــصـــة في أعمال المواصـــلات والتخطيط الحضـــري،ويمكن اعتبار نظام المعلومات الكندي عام1964م أول نظام معلومات جغرافي ظهر على الطبيعة،وفي منتصـف السـبعينات تم الاتفاق على تسـمية هذه النظام باسـم نظام المعلومات الجغرافية،نظراً لكثرة أسماء النظم والبرامج المسـتخدمة في هذا المجال،ومع مجيئ التســـعينيات تطور نظم المعلومات الجغرافية،وعرف إضـــافة وظائف جديدة إلى نظم المعلومات الجغرافية،والمتمثلة في الوسائل والمعدات المتعددة Multimedia مثل الصوت والفيديو،ومن بين أهم وظائفه في تسيـير الممتلكات الثقافية مايلي:

-رصـــد وتوثيق المعالم التاريخية والمواقع الأثرية القائم في منطقة من المناطق،بجميع تفاصـــيلها من خلال صور الأقمار الاصطناعية.

-دراســة وتحديد المخاطر والتعديات التي تعرضــت لها المناطق التاريخية أو التي يمكن أن تتعرض لها والحد منها والحفاظ عليها.

-دراســـة التوزيع الجغرافي للخدمات والمرافق وتحديد المباني التي تتقاســـم نفس الحيز الجغرافي مع الممتلكات الثقافية.

-اختيار أفضـــل المواقع للخدمات والأنشـــطة مثل طرق المواصـــلات التي لها علاقة بتثمين الممتلكات الثقافية من دون إلحاق الضرر بها كتلويث مجالها البصري.

-متابعة النمو العمراني المحيط بالممتلكات الثقافية،لتفعيل ما جاء في القانون 04/98 حول ضـــرورة الإبقاء على مســـافة 200م بين المباني الحديثة والطابع العمراني الأصـــيل،وعمل مقارنة بين الفترات الزمنية المختلفة لتحديد التغير الذي طرأ.

6-دور الخريطة الأثرية في تسيير الممتلكات الثقافية:

تعتبر عملية تســـيير المواقع الأثرية والمعالم التاريخية من الخطوات اللاَّزمة لاســـتغلالها والحيلولة دون وقوعها في خانة النســيان،ومن أجل تفادي ذلك،لابد من الاســتعانة بالخريطة الأثرية،فبعد تحضــيرها بطريقة علمية دقيقة مع مراعاة عدم نســـيان أي معلم أوموقع،ســـنتمكن من ردع خطر المشـــاريع التنموية،وكذا الاعتداءات التي يتسبب فيها الملاك الخواص،إضافة إلى العوامل الطبيعية،ويتم توزيع نسخ منها على السلـطات المحلية(الـولاية والبـلدية)ومـديرية البناء والتعمير،حتى نتفادى إعلان أي مشروع تنموي فوق موقع أثري أوبالقرب من معلم تاريخي،كما تمكِّننا الخريطة الأثرية من تحضـــير مخطَّط ورقي ينظِّم العملية السياحية فبعد العودة إلى ما يوجد فيها سنتمكن لا محالة من تحديد الوجهة الأثرية التي سيقصدها الفوج السياحي وذلك بـعد اختيار الأكثر احتواء على القيمة الفنية والتاريخية،انطلاقاً مـن تحديد مكانها على الخريطة الأثرية،وتوفر هذه الأخيرة أيضـاً إمكانية الوصـول إلى أماكن المعالم والمواقع الأثرية بسهولة،ما سيضمن القيام بأعمال الصيانة والتفقد الدوري بانتظام.

وتجدر الإشـارة إلى أنه يمكن دمج أيضـاً حتى المواقع الأثرية تحت البحار،من أجل الإعداد لمشـروع حفرية أثرية مســـتقبلاً مثلاً،وتوفير الحماية اللاَّزمة له من الاعتداءات التي تأتي في مقدِّمتها مشـــاريع توســـعة الموانئ،ولابد من التنويه بضـــرورة الحرص جيداً على تحديثها باســـتمرار تماشـــياً مع عمليات التنقيب التي تزيح النقاب عن مواقع أثرية جديدة،وكذا مع المشـــاريع التنموية المســـطرة في إطار مخطط شغل الأراضي(POS) والمخطط التوجيهي للبناء والتعمير(PDAU).

تشــترك الخريطة الأثرية مع بقية الخرائط في كونها تقدم لنا صــورة واضــحة المعالم عن العدد الخاص بشــيء ما في مجال معين،وبالتالي الخريطة الأثرية تيســر عملية تعداد الممتلكات الثقافية الموجودة على تراب ولاية من الولايات أو الوطن ككل،كما تســمح لنا بتنظيم هذه الممتلكات والوقوف على كمِّها إضـــافة إلى كيفها،وتحديد مكانها بطريقة متناهية في الدقة وفقاً لإحداثيات خطوط الطول ودوائر العرض.